

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإسلامية

أبو شاكر عمر

مقياس: اللغة العربية

التخصص: فقه وأصول - شريعة وقانون (السنة الثالثة)

الموضوع: علم البلاغة (مفهومه ونشأته وتطوره وفروعه)

1البلاغة:

البلاغة هي الوصول إلى الشيء والانتفاء إليه ومن قولهم بلغت الغاية إذا انتهيت إليها وجاء في لسان العرب «بلغ الشيء يبلغ بلوغاً وبلاغاً وبلاغة: وَصَلَ وانتهى»⁽¹⁾ والإبلاغ الإيصالُ ومنه قوله تعالى: فَإِذَا بَلَغَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ [الطلاق/2] أي قاربته .

وسُميت البلاغة بلاغة لأنها تُنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه، فقال (أبو هلال العسكري المتوفى 395هـ): « البلاغة من قولهم: بلغت الغاية إذا انتهيت إليها ويلعُثها غيري. ومبلغ الشيء منتهاه. والمبالغة في الشيء الانتفاء إلى غايته فسميت البلاغة بلاغة لأنها تُنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه⁽²⁾»

وأورد (ابن رشيق القيرواني المتوفى 406هـ) في كتابه العمدة⁽³⁾ طائفة من الآراء في تحديد مفهوم البلاغة كما تصوّرُها أصحابها وردت في هذه الأقوال:

قيل لأحدهم: ما البلاغة؟ فقال: إصابة المعنى وحسن الإيجاز وسئل بعض الأعراب: من أبلغ الناس؟ فقال: أسهلهم لفظاً وأحسنهم بديهة.

وقال خلف الأحمر: البلاغة لمحّة دالة.

وقال الخليل بن أحمد: البلاغة كلمة تكشف عن البقية.

وقال المُفضّل الضبي: قلت لإعرابي: ما البلاغة عندكم؟ فقال: الإيجاز من غير عجز والإطناب من غير خطل.

وكتب جعفر بن يحيى بن خالد البرمكيّ إلى عمرو بن مسعدة: إذا كان الإكثار أبلغَ كان الإيجاز تقصيراً وإذا كان الإيجاز كافياً كان الإكثار عيباً.

وقيل لبعضهم: ما البلاغة؟ فقال: إبلاغ المُتكلّم حاجته بحُسن إفهام السامع ولذلك سُمّيت

وقال آخر: البلاغة معرفة الفصل من الوصل.

وقيل البلاغة: حُسن العبارة مع صحة الدلالة

ولعلّ مرجع هذا التباين في تعريف البلاغة هو اختلافهم في تحديد خصائص الكلام البليغ في بنيته اللغويّة الخالصة، فهناك مَنْ يعزّوها إلى الإيجاز، وهناك آخر يروقه الإطناب والاسترسال في الحديث لذلك كان أقربُ تعريف لبلاغة الكلام هو « مُطابقتُه لمقتضى الحال مع فصاحته، ومقتضى الحال مختلف فإن مقامات الكلام متفاوتة» فمقام التكرير يباين مقام التعريف، ومقام الإطلاق يباين

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة (ب ل ع)

(2) أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ص 9

(3) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط 5، دار

مقام التقييد ،ومقام التقديم يُبين مقام التأخير ،ومقام الذكر يُبين مقام الحذف ،ومقام القصر يبين مقام خلافه ،ومقام الفصل يبين مقام الوصل ،ومقام الإيجاز يُبين مقام الإطناب ،والمساواة وكذا خطاب الذكيّ يبين خطاب الغبي ،وكذا لكلّ كلمة مع صاحبها مقام.

نشأة علم البلاغة : ما من شك في أن بذور علم البلاغة كانت مُحتواة في ثنايا علوم عديدة لغويّة وشرعيّة ولم يكن استقلال مباحثها إلا في مراحل متأخرة ،فكان في علم النحو ما يؤسس لأحد أهمّ شروط فصاحة الكلام وهو مراعاة مبدأ القياس وفي موضوعات النحو ما يتقاطع كثيرا مع موضوعات البلاغة العربيّة وبخاصّة علم المعاني منها بل إنّ علم المعاني بحد ذاته يعد فلسفة الدراسة النحويّة وأرقى صورة بلغتها يومئذ ،فكتاب سيبويه نفسه لم يكن نحوا خالصا بل يشتمل على مختلف علوم العربيّة (..) وحديث «عن القراءات» والنحو والصرف والبلاغة ،ومخارج الحروف⁽⁴⁾ وإذا كان النحو العربيّ قد وُجد لحفظ القرآن الكريم من اللأحن « الذي ما فتئ يستشري في البيئة العربيّة الإسلاميّة» فإنّ البلاغة العربيّة أو جدتها أو سرّعت بوجودها أسئلة معرفيّة مُلحة من قبيل « كيف يكون القرآن الكريم مُعجزا ؟ وأين يستقر مناط إعجازه ؟ ولعل علم التفسير أحد العلوم التي حاولت الإجابة عن هذه الأسئلة ذات الصلة بالبلاغيّة» ممّا أثرى الحقل البلاغيّ بمفاهيم تمثل الظاهرة البلاغيّة في مختلف تجلياتها الأدبيّة و التخاطبيّة .

تطوّر علم البلاغة :

إنّ ممّا تتسمّ به أيّة حركيّة معرفيّة علميّة أتها لا تنشأ النشأة الأولى مُكتملة البناء«واضحة المعالم» إنما تكون بسيطة ابتداءً وتبدأ بالتدرّج قليلا قليلا عبر خط الزمن لتزداد نُضجا واتساعاً ودقة وضبطا وإنّ الدرس البلاغيّ ليس بدعا في ذلك ؛ فقد قطع مراحل زمنيّة عدّة وصوّلا إلى مرحلة التأسيس الفعليّ بالصورة الختاميّة التي يُرى عليها في مصنفاته المخصوصة.

المرحلة الأولى:

- تظهر من خلال كتاب 'مجاز القرآن' ل (أبي عبيدة معمر بن المثنى المتوفى 210 هـ)؛فبالرغم من أنّه لم يكن كتابا بلاغيّا خالصا. إنّما كان كتابا في التفسير حيث تناول فيه صاحبه شرحا لألفاظ قرآنية بما يقابلها في كلام العرب» فقد تخللت بعض تفسيره لآيات القرآن الكريم ملحوظات بلاغيّة عديدة (5)

- جهود (الفراء المتوفى 207 هـ). وهو أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء» من علماء الكوفة الأوائل» اشتغل بالنحو واللغة وبالآدب وفنونه» صاحب "معاني القرآن" وهو كتاب عني فيه بالتخرّيج النحويّ للآيات وبشرح الألفاظ شرحا لغويّا تؤيّد شواهد الشعر و أوجه الاستعمال المعروفة؛مُستأنسا في كلّ ذلك بمذاهب العرب في كلامها وقد ضمّن مؤلفه عدداً من الآراء البلاغيّة (6)

- جهود (الجاحظ المتوفى 255 هـ) في كتابه "البيان والتبيين" وهو كتاب شامل وفيه أشار إلى بعض الفنون البلاغيّة» من استعارة وتشبيه وإيجاز وإطناب وسواه. ولعل الجاحظ كان من أوائل الذين تحدثوا عن موضوع الإعجاز وعلّوه بما في القرآن الكريم من نظم غريب وما في تأليفه من تركيب بديع ؛ بل إنّهُ أفرد كتابا لذلك سمّاه "نظم القرآن" (7)

(4) ينظر : صالح بلعيد ،التركيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني ،ديوان المطبوعات الجزائرية ، سنة 1994 ، ص 70

(5) ينظر مازن مبارك ،الموجز في تاريخ البلاغة ص 42

(6) نفسه ،ص 38 وما بعدها

(7) نفسه ، ص 42

-جهود (ابن قتيبة الدينوري المتوفى 276هـ) أحد تلامذة الجاحظ صاحب كتاب "مُشكل القرآن" (8 تصدى من خلاله إلى الطاعنين في القرآن وفي أسلوبه ؛ وفيه تحدّث عن العرب وعن العربيّة وما خصّها الله به من قوة بيان وجودة أسلوب وعن ظاهرة إعجاز القرآن « مُشيراً إلى بعض المفاهيم البلاغيّة من مجاز واستعارة وقلب وإيجاز في الكلام وزيادة فيه و تكنيّة المعاني» بمخالفة ظاهر اللفظ معناه. ومما تميّز به ابن قتيبة عن سابقيه هو وضعه لكل لون من هذه الألوان باب مخصوصاً. -جهود (ابن المعتز المتوفى 296هـ) في كتاب "البديع"« ويشمل البديع عنده كثيراً من فنون البلاغة « من استعارة وكناية وتشبيه ومطابقة وجناس على خلاف معنى البديع الذي عرف به عند المتأخرين.

٢٠ المرحلة الثانية :

- وتتصدر آثار هذه المرحلة جهود الإمام (عبد القاهر الجرجاني. المتوفى 471هـ) إذ وضع نظريتي علمي المعاني والبيان في كتابيه الشهيرين "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" على الترتيب.

- ثم يأتي تلميذ الجرجاني (الزمخشري المتوفى 538 هـ) حيث أفاد من كتابي دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني« لتتجسد في تفسيره القيم "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"« وفيه اهتم ببيان أسرار القرآن البلاغيّة ومظاهر إعجازه اللغويّة.

المرحلة الثالثة :

تزامنت هذه المرحلة مع انتعاش حركة الترجمة« حيث نقل المسلمون كثيراً من معارف الأمم الأجنبيّة: مما مكن بلاغيّ المرحلة هذه من الاطلاع على ماله صلة بالبحث البلاغيّ« وفي ذلك جاءت جهود (أبي يعقوب يوسف السكاكي المتوفى 626هـ) من خلال كتابه "مفتاح العلوم"« وأفاد فيه من الفلسفة والمنطق اليونانيّين فأوجد للبلاغة قواعد أساسها التعليل والتعريف والتفريع والتقسيم« ويرى دارسون (9) (أن البلاغة العربيّة تحوّلت على يديه إلى مجرد قواعد وقوانين سُكبت في قوالب منطقيّة جافة« حالت بينها وبين غايتها الفنيّة في مخاطبة النفوس وتهذيب الأدواق وتنمية الملكات. ثم أعقبت جهود السكاكي فترة عرفت بالشروح وشروح الشروح. وبكتب الاختصارات فكان من الذين قاموا بشرح مفتاح السكاكي (قطب الدين الشيرازي المتوفى 710 هـ) في كتاب سمّاه 'مفتاح المفتاح'« وكذا بهاء الدين السبكي في كتابه "عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح .

- فروع علم البلاغة

كانت البلاغة العربيّة في بادئ الأمر وحدة شاملة، كثيراً ما يتجاوز فيها إلى مسائل ذات صلة بها وإن لم تكن منها. وسار الدرسُ بها من دون فصل بين مباحثها وظل الأمر كذلك حتى القرن الخامس الهجريّ أين ظهر وضع لنظريّة "علم المعاني" على يد الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز"« كما أسس لنظريّة "علم البيان" في كتابه "أسرار البلاغة".

والبادي واضحاً لمتتبّع تاريخ البلاغة العربيّة أنها اتسمت قبل السكاكي بمنهج يرمي إلى عدم الفصل بين عناصرها وفنونها لما في ذلك من خدمة للأدب ؛ وإمداده بأسباب القوّة والجمال ؛ حيث إنّ كل الأدوات البلاغيّة تعمل على الوصول الى درجة الإبداع «(والظاهر أنّ البيون شاسع بين ما قصد إليه الجرجاني صاحب فكرة "معاني النحو" أو "النظم"« وبين ما قصد إليه السكاكي (10))

1- علم المعاني

علم المعاني في تقدير السكاكي هو «تَتَّبِعْ خَوَاصَّ تَرَكَيبِ الْكَلَامِ فِي الْإِفَادَةِ وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا مِنَ الْإِسْتِحْسَانِ وَغَيْرِهِ لِيُحْتَرَزَ بِالْوَقُوفِ عَلَيْهَا عَنِ الْخَطَأِ فِي تَطْبِيقِ الْكَلَامِ عَلَى مَا تَقْتَضِي الْحَالُ ذَكَرَهُ»⁽¹¹⁾ ويبدو أثر علم المعاني وأهميته في بيان وجوب مطابقة الكلام لحال السامعين فكانت المناسبة المقامية هي التي تحدّد الصيغة المقالية. وبذلك كان علم المعاني محاولة لرصد هذه العلاقة التلازمية ما بين المقامات والمقالات. «فالدكّي يناسبه من الاعتبارات اللطيفة والمعاني الدقيقة الخفيفة مالا يناسب الغبي» (ولكل كلمة مع صاحبها) أي مع كل كلمة أخرى مصاحبة لها (مقام) ليس لتلك الكلمة مع ما يشارك تلك المصاحبة في أصل المعنى⁽¹²⁾

وعلى أساس من تلك الرؤية المنهجية جاء ث موضوعات علم المعاني التي وردت في القسم الثالث من كتاب مفتاح العلوم للسكاكي مرتبة على هذه اللائحة⁽¹³⁾

الخبر والطلب، الإسناد الخبري واختلافه باختلاف السامع، من حيث خلوه ذهنه منه أو الشك فيه أو الإنكار له، الإسناد وبيان أحوال المسند إليه والمسند من حيث الذكر والحذف، والتكثير والتعريف، والتقديم والتأخير، والتخصيص، والمقتضيات البلاغية لذلك، الفعل ومتعلقاته، الفصل والوصل، الإيجاز والإطناب والمساواة، وبيان كيف أنها نسبية، القصر وأنواعه وطرقه، الطلب وما يندرج تحته من أنواع ومن أغراض بلاغية.

2 علم البيان

البيان لغة : الظهور والوضوح والإفصاح ، قال تعالى (هذا بيان للناس) علم البيان اصطلاحاً: (هو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه» وبالنقصان، ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه)⁽¹⁴⁾ وسار القزويني على هدي السكاكي في تعريف البيان، غير أنه فصل في مراد اللفظ حيث قال: (فن يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه ودلالة اللفظ إما على ما وضع له أو على غيره. والثاني إما داخل في الأول دخول السقف في مفهوم البيت» أو الحيوان في مفهوم الإنسان» أو خارج عنه خروج الحائط عن مفهوم السقف. أو الضاحك عن مفهوم الإنسان وتسمى الأولى دلالة وضعية» وكل واحدة من الأخيرتين دلالة عقلية» وتختص الأولى بدلالة المطابقة والثانية بالتضمن والثالثة بدلالة الالتزام)⁽¹⁵⁾

وقد اختص هذا الفرع من علوم البلاغة بالحديث عن التشبيه بأركانه وأنواعه. وعن الاستعارة ببعض أنواعها وعن المجاز المرسل بعلاقاته المتعددة وعن المجاز العقلي والكناية .

3 علم البديع:

علم البديع واحد من فروع علوم البلاغة العربية» ويختص في تحسين أوجه الكلام لفظية كانت أم معنوية» وتعود نشأة هذا العلم إلى الخليفة العباسي الأديب المعروف بابن المعتز الذي اشتهر بكتاب "البديع". وتأتي منزلة هذا العلم ضمن علوم البلاغة. بالنظر إلى وظيفته التكميلية لتحقيق بلاغة الكلام وفصاحته. بعد علمي المعاني والبيان فكأنني بالبديع يمثل مرحلة الصقل الفني النهائية للكلام

(10) ينظر: منير سلطان، بلاغة الكلمة والجملة والجمل، د/ط منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1998، ص

12

(11) السكاكي، مفتاح العلوم، تح عبد الحميد هنداوي، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2000، ص 149

(12) نفسه، ص 23

(13) ينظر: السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تح: خليل إبراهيم خليل، ط 1، دار الكتب

العلمية بيروت، لبنان، 2001،

(14) السكاكي، مفتاح العلوم، ص 249

(15) القزويني، الايضاح في علوم البلاغة، ص 163

بعد تحقّق الهيكل الأول المكوّن من سلامة المبنى وتحقق المعنى. وقد عرّف البديع الخطيبُ القزويني قائلاً: (هو علمٌ يُعرَفُ به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة.)⁽¹⁶⁾ واختلف علماء البلاغة قديماً في حصر موضوعات علم البديع نظراً لاختلافهم في مفهوم المصطلح ذاته غير أنّ السكاكي قد أثارَ عدداً من المُحسّنات البديعيّة المعنويّة على غيرها ووقف عندها في كتابه» وتبلغ عشرين نوعاً منها المطابقة، والمقابلة ومراعاة النظير«والمزاوجة و المُشاكلة والإيهام واللف والنشر والجمع، والتفريق، والتقسيم والجمع مع التفريق، والجمع مع التقسيم والتقسيم مع التفريق والتقسيم، وتأكيد المدح بما يشبه الذمّ، والتوجيه والاعتراض، والالتفات، والاستتباع أما المحسنات البديعيّة اللفظيّة التي أوردّها فهي الجنس، ورد العجز على الصدر، والسجع، والقلب، والاشتقاق، والترصيع.

الأسلوب الخبري والإنشائي

- أولاً - الأسلوب الخبري وأضرابه

عناصر الموضوع:

أ - قسما الكلام

ب. الخبر وغرضاه الأصليان

ج. أضرابه وأغراضه المجازيّة

أ. قسما الكلام :

إنه بالنظر إلى وظيفة اللغة التواصلية وبناءً على الغرض من معاني مجموع الاستعمالات الكلاميّة للتراكيب قسم علماء المعاني الكلام قسمين، خبرٌ وإنشاء. فالخبر هو ما يصح أن يقال لقائله إنه صادق فيه أو كاذب فإن كان الكلام مطابقاً للواقع كان قائله صادقاً وإن كان غير مطابق له كان قائله كاذباً، واستثنيت من الثاني الأخبارُ المقطوع بصحتها ومنها أخبار الله تعالى وأخبار رسله والبدهيّات المألوفة⁽¹⁷⁾، لأنّ الإسناد في هذا القسم خبري بالنظر إلى طبيعة الكلام ونزاهة قائله. أمّا الإنشاء فهو ما لا يصح أن يقال لقائله إنه صادق فيه أو كاذب ولكلّ جملة من جمل الخبر والإنشاء ركنان ؛ محكوم عليه ومحكوم به ويُسمّى الأول مُسنّداً إليه والثاني مُسنّداً.

ب. الخبر وغرضاه الأصليان :

نظراً للبلاغيون إلى أغراض الخبر باعتبار المتكلم وفقاً لمقتضى الظاهر فوجدوا أنّ له غرضين أصليّين ؛ فهناك جملة يُلقِيها المتكلم بغرض إفادة المخاطب بما يجمله ؛ أطلق عليها (فائدة الخبر) وهناك جملة أخرى تلقى بغرض إفادة المخاطب بما يجمله من علم بمضمون الخبر ؛ أطلق عليها (لازم الفائدة) .

ج. أضرِبُ الخبر وأغراضه المجازيّة :

(16) نفسه، ص 255

(17) ينظر : عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، علم المعاني، البيان، البديع، ص 44

1-أضربُ الخبر

إنّ من مراعاة مقتضيات الأحوال في بلاغة الكلام مراعاة حال المخاطب ودرجة تقبله لمضمون الخبر وشحنه الإعلامية، لذلك كان المُخاطب المُستهدف بالخبر هو مَنْ يُملي على المتكلم شكل أسلوبه وبنية اللغوية.

-فإذا كان المُخاطب خالي الذهن من الحكم الذي يحمله الخبر فلا حاجة بالمتكلم في تأكيد كلامه الخبر ويُسمّى ضرب الخبر "ابتدائي" نح أخوك قائم. فإن كان المخاطب مُترددا الحكم طالبا لمعرفته كان من اللائق تقوية الحكم بمؤكّد كي يتمكّن من نفسه وتطرح الشكوك والظنون دونه» ويُسمّى ضربُ الخبر "طلبي" نحو إنّ الأمير منتصر.

-فإنّ كان المُخاطب مُنكرا للحكم، مُعتقدا خلافه؛ لزم المتكلم تأكيدُ كلامه بأكثر من مؤكّد تبعا لدرجة الإنكار من مخاطب إلى آخر ويُسمّى ضرب الخبر إنكاري" نحو إنّ الأمير مُنتصر. و إنّ ما يكون في الإثبات من توكيد يكون مثله أيضا في النفي (18)

2أغراضُ الخبر المجازية :

إذا كان للخبر باعتبار المتكلم ووفقا لمقتضى الظاهر غرضان أصليّان هما فائدة الخبر ولازم الفائدة» فإنّ هناك مقامات ثانية» كان البلاغيون قد «نظروا إليها باعتبار المتكلم والمخاطب فرأوا أنّ هناك أغراضا خرجت عن ذلك كله. فأطلقوا عليها الأغراض المجازية (19)

إنّ الخبر قد يُلقى على خلاف الأصل لأغراض أخرى تُستفاد من سياق الكلام وقد وصفها البلاغيون (20) (في أغراض عامة منها الاسترحام والاستعطاف وتحريك الهمة إلى ما يلزم تحصيله. وإظهار الضعف والخشوع. وإظهار الحزن والتحسر وإظهار الفرح بمُقبل والشماتة بمُدبر والتوبيخ والتذكير بما بين المراتب من تفاوت ولا يخلو خبرٌ ههنا من جمالية إذ إن اختيار أسلوب الإخبار لغاية غير الإخبار يمنح المتلقي تفاعلا وتأثرا لمضمون الكلام» فضلا عمّا يُصاحب تلك المقامات من معاني اللباقة والتأدب والعاطفة. وقد حاول د. حسين جُمعة محاكاة هذه الجمالية بقوله: « ولعلّ جمالية التساوق البلاغيّ لأغراض الخبر المجازية ترتبط بالهدف الذي يرمي إليه المتكلم من وراء الجملة الخبرية (...)» وعلى المتلقي أن يستشف ذلك من السياق ويلمحه من قرائن الأحوال بما يمتلكه من ذوق فنيّ وبهذا تؤسّس لعلاقة المتلقي بها في ضوء الارتباط النفسي والفكريّ في وقت واحد (21)) فترسم بهذه الأغراض الملامح الفنية للمعنى (مضمون) هذه الأغراض التي نذكر منها:

1 - الأمر: ويظهر من خلال العدول إلى المضارع بإلغاء الحدود الزمانية بجمالية مُثيرة، نحو قوله تعالى: «وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتِمَّ الرِّضَاعَةَ» [البقرة/ 233] فالسياق البلاغيّ نقل الفعل المضارع الذي يُفيد الزمن الحضوريّ إلى الزمن المطلق لكل امرأة ذات ولد، وإنه أمر لها بما ينبغي أن تفعله في كلّ زمان ومكان وفي هذا مكمن الجمالية. «فهي الفطرة تعمل» وهي الأسرة تُلبّي هذه الفطرة في أصل الكون وفي بنية الإنسان. ومن ثم كان نظام الأسرة في الإسلام هو النظام الطبيعيّ الفطريّ المنبثق من أصل التكوين الإنساني. بل من أصل تكوين الأشياء كلها في الكون (..) والأسرة هي الحضن الطبيعيّ الذي يتولى حماية الفراخ الناشئة ورعايتها(...) وكانت الأسرة المُستقرّة الهادئة ألزم للنظام الإنساني. كل هذا في دلالة المضارع المجازية.

2 - النهي: تنبثق الدلالة من زاوية الرؤية البعيدة مقترنة بالسياق» نحو قوله تعالى: (لا يَمَسُّهُ إِلَّا

(18) ينظر: السيد الهاشمي، جواهر البلاغة، ط 1، مؤسسة العلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، 2008، ص 42

(19) حسن جمعة، جمالية الخبر والإنشاء، د/ ط منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، سوريا، 2005، ص 25

(20) جواهر البلاغة، مرجع سابق، 1 / 41

(21) حسين جمعة، جمالية الخبر والإنشاء، ص 46

المُطَهَّرُونَ) [الواقعة /79] إذ إن امتناع مسّ القرآن الكريم على غير المتطهّرين كان بأسلوب مثير للانفعال النفسي من خلال قصر ملامسة المصحف على المتطهّرين إخباراً. وفي بيان تلك الخصيصة يقول السيوطي مُعقبا على فحوى الدلالة في هذه الآية في فصل (في معاني الخبر): «إذا قلنا: إنه ورد في الأدميين- وهو الصحيح- إن معناه: لا يمسه أحدٌ منهم» بشرح فإن جد المس فعلى خلاف حكم الشرع. وهذه الدقيقة هي التي فاتت العلماء» فقالوا: عن الخبر قد يكون بمعنى النهي وما وجد ذلك قط ولا يصح أن يوجد؛ فإنهما يَخْتَلِفان حقيقة ويتضادان وصفاً⁽²²⁾

3 - التمني: وتفيده الجملة الخبرية في هذا المقام وكأنّ التمني قريبٌ من الحدوث نحو قوله تعالى: ((وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ)) [المائدة /84]

4 - الدعاء: تُرْتَسَم ملامحُ الجمال المثير بتراكيب مُوجزة العبارة» واسعة الدلالة الإيحائية» فعلى الرّغم من تداولها اجتماعياً إلا أن عبارة مثل (حفظك الله) أو (شفاك الله) بالصيغة الإخبارية تموج بشحنة عاطفية عالية» تقوم على الابتهاج والاستعطاف.

- ثانياً - الأسلوب الإنشائي وأغراضه

عناصر الموضوع:

أ. الأسلوب الإنشائي

ب. الأسلوب الإنشائي الطلبي

ج. الأسلوب الإنشائي غير الطلبي

د. أغراض الأسلوب الإنشائي المجازية

أ. الأسلوب الإنشائي :

الإنشاء في اللغة الإيجاد وفي اصطلاح البلاغيين⁽²³⁾ ما لا يحتمل الصدق والكذب لذاته من الكلام نحو (اغفر وارحم فلا ينسب لقائله صدق أو كذب) حيث إنّ مضمون الإنشاء لا يتحقق ولا يحصل إلا في حال التلفظ به فطلبُ الفهم في الاستفهام، والإقبال في النداء، والكف في النهي، وإتيان الفعل في الأمر، وغيره ممّا لم يحصل معناه إلا بحال التلّفظ، يعد إنشاءً للمعنى في مقابل الحكم القبلي الذي للخبر .

ب. الأسلوب الإنشائي الطلبي :

الإنشاء الطلبي⁽²⁴⁾ هو الذي يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب في اعتقاد المتكلم ويكون بخمسة أشياء الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والنداء.

الأمر: هو طلب حصول الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام» وله صيغٌ أربع:

-فعل الأمر الصريح: نحو قوله تعالى: « يَا بَحْيِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَأَنْتِئَاهُ الْحُكْمُ صَبِيحاً] مريم /

[12

- الفعل المضارع المقترن بلام الأمر: نحو قوله تعالى: « فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ 4 [قريش /03]

-المصدر الذي ينوب عن فعل الأمر نحو قوله تعالى: « وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالَّذِينَ

إِحْسَانًا]النساء / 36]

-اسم فعل الأمر نحو حذار بمعنى احذر وقد تخرج صيغ الأمر عن معناها الأصلي إلى معانٍ أخرى كثيرة ، تُستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال منها الالتماس، والإرشاد، والتهديد، والإعجاز والإباحة، والتسوية والإكرام، وإلهانة، والتخيير، والتعجب

النهي: هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، وله صيغة وحيدة وهي: المضارع

مع "لا" الناهية كقوله تعالى: «وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا؛ [الأعراف/56] وقد تخرج صيغ الأمر عن معناها الأصليّ إلى معانٍ أخرى كثيرة تُستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال منها الدعاء، والالتماس، والإرشاد، والتمني، والتينيس، والتوبيخ، والتحقير.

الاستفهام: هو طلبُ العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل وذلك بإحدى أدواته وهي: هل ومَنْ وما ومتى وأَيان وكيف وأين وأنى وكم وأيّ. وتنقسم بحسب الطلب إلى ثلاثة أقسام:

1 - ما يُطلبُ به التصرُّو تارة والتصديق تارة أخرى وهو الهمزة تحديداً.

2 - ما يُطلبُ به التصديق فقط وهو هل تحديد .

3 - ما يُطلبُ به التصرُّو فقط وهو بقيّة ألفاظ الاستفهام.

التمني: هو طلبُ الشيء المرغوب الذي لا يرجى حصوله أو ما كان بعيد الحصول أو ما كان مستحيل الحصول نحو قول الشاعر:

ألا ليت الشباب يعود يوم ** فأخبره بما فعل المشيب.

فإذا كان الأمر المرغوب ممّا يرجى حصوله كان طلبه ترجياً لا تمنياً. وللمتني أربع أدوات «إحداها أصليّة وهي "ليت"؛ وثلاث غير أصليّة، نائبة عنها حيث يُتمنى بها لغرض بلاغيّ وهي: هل ولو ولعل.

النداء: هو طلبُ المتكلم إقبال المخاطب عليه، بحرف نائب مناب "أنادي" المنقول من الخبر إلى الإنشاء وأدواته ثمانية: الهمزة، أيّ يا وآ أيّ أيا هيا وا . وهي في الاستعمال نوعان:

1/ الهمزة وآ أيّ لنداء القريب.

2/ باقي الأدوات لنداء البعيد.

وقد تخرج ألفاظ النداء عن معانيها الأصليّة: فيفيد القرب ما حقه البعد وبالعكس أيضاً وقد تفيد معاني أخرى غير النداء بمعونة قرائن الأحوال كالإغراء والاستغاثة والندبة .

ج. الأسلوب الإنشائي غير الطلبي :

الإنشاء غير الطلبي⁽²⁵⁾ : هو ما لا يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب مثل صيغ المدح والذم ويكونان ب 'نعم / بئس' و "حيّذا / لا حيّذا". والعقود فغالباً ما تكون بالماضي نح "بعثت"؛ "اشتريته". والقسم ويكون بالواو أو الباء أو الناء. والتعجب، ويكون بصيغتيه القياسيتين "ما أفعله/ أفعَل به وبصيغ سماعيّة أخرى والرجاء يكون ب عسى' و "حري' و "اخلولق' و "رب" و "لعل" و "كم" الخيريّة.

د. أغراض الأسلوب الإنشائي المجازيّة :

أسلوب الإنشاء قائم على الأساس الذي يطلبه المتكلم من المخاطب فالكلام الإنشائي في مثل هذه الحال مرتبط بتصور المتكلم وبشعوره. فقد يخرج الإنشاء بدوره إلى أغراض مجازيّة يتلبسها المعنى الإسناديّ المُعبّر عنه في هذا الأسلوب. وقد أخرج الإنشاء غير الطلبي عند القدماء من جملة الإنشاء الطلبي لأنه لا يستدعي مطلوباً بعد النطق به كالشرط والقسم، والتعجب، والمدح، والذم والرجاء، وصيغ العقود. وهناك من أخرجه من بحث الإنشاء كلّهُ⁽²⁶⁾ و الخبيرُ قد يقع موقع الإنشاء إمّا للتفاؤل أو لإظهار الحرص في وقوعه، والدعاء بصيغة الماضي من البلّغ يحتمل الوجهين⁽²⁷⁾ . ومن الأغراض الفنيّة التي يَنزاح إليها الإنشاء نذكر:

٢٠ الدعاء بالأمر: نحو قوله تعالى: «إِربُّ أَوْزٍ غَنِيٌّ أَنْ تُشكَّرَ نِعْمَتُكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدِي (

(25) ينظر : السيد الهاشمي جواهر البلاغة، 53 /1

(26) حسن جمعة، جمالية الخبر والإنشاء، ص 102

(27) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 92 - 93

النمل/19] يقول سيّد قطب في قصّة سليمان عليه السلام ،وفي فحوى تفسيره للآية الأنفة الذّكر: «أدرك سليمانُ هذا قنبيثم ضاحكا من قولها وسرعان ما هزّتُهُ هذه المشاهدة وردت قلبه إلى ربّه الذي أنعم عليه بنعمة المعرفة الخارقة وفتح بين هوبين تلك العوالم المحجوبة المعزولة من خلقه؛ واتّجه إلى ربّه في إنابة يتوسّل إليه (..) (ربّي) بهذا النداء القريب المتصل. (أوزغني) اجمع كُلي. اجمع

جوارحي مشاعري⁽²⁸⁾)

وهذا التعبير يشي بنعمة الله التي مدّت قلب سليمان عليه السلام في تلك اللحظة: ويُصوّر نوع تأثيره وقوة توجّهه وارتعاشه وهو يستشعر فضل الله الجزيل ويتمثل يد الله عليه وعلى والديه ويحسنّ مسن النعمة والرّحمة في ارتياح وابتهاال⁽²⁹⁾)

الإخبار بالاستفهام: نحو قوله تعالى: «أليسَ ذلكَ بقادرٍ على أن يحييَ الموتى [القيامة/40] إنَّ المعنى الإسناديّ المتضمن في الآية يتعرّز أمام هذه الحقيقة⁽³⁰⁾ التي تفرض نفسها فرضاً على الحس البشري يجيء الإيقاع الشامل لجملة من الحقائق التي تعالجها الصورة (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى؟) بلى! سبحانه! فإنه لقادر على أن يحيي الموتى.

بلى! سبحانه! فإنه لقادر على النشأة الأخرى!

بلى! سبحانه! وما يملك الإنسان إلا أن يخشع أمام هذه الحقيقة التي تفرض نفسها فرضاً. وهكذا تنتهي الصورة بهذا الإيقاع الحاسم الجازم القوي العميق؛ الذي يملأ الحس ويفيض بحقيقة الوجود الإنساني وما وراءها من تدبير وتقدير.

الترجّي بالتمني:

ومنه قول الشابي:

ليتني كنتُ كالسيول إذا سألتُ ** تهْدُ القبورَ رمّسا برمس
ليتني كنتُ كالرياح فأطوي ** كلَّ ما يَخْنِقُ الزهورَ بنحسي

(28) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، 19 / 2636 - 2673

(29) نفسه ، 19 / 2637

(30) نفسه ، 29 / 3775